

مردی

مع حوا



هبة المؤلف

مكتبة أمير أديس

مكتبة "الهدية"

من التقديم

خالد

٩٤٤/١



892.78
Ha527mA



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

حدیث

خالد بن الولید

۱۰۰

کتابخانه

الى

الناشر

مكتبة



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

البحث الاول

في ثانيا الزمن

من ادب القوة

وتكلم عن الحياة ، فيما كان يتكلم ، فوصفها بالحلم ، ووجب ان يكون هذا الحلم عذبا جميلا ، ولم ير غير الحب شيئا يضمن هذه العذوبة والجمال ، ثم تكلم عن الشباب فقال انه سويعات من العمر يكمن فيها كل اللذة واللهو والمرح والحب . ولما ذكر الحب طاب اليّ ان اتحدث عنه واكثر من الحديث . فهو يعتقد ويجزم في اعتقاده ان ليس مثل المرأة من يعرف الحب ؛ وليس مثلها من يحلله فيستطيع ان يوضح في تحليله ايضاها ؛ او يصوره فيستطيع ان يبدع في تصويره ابداعها ، لذلك يفسح لي في المجال لاحدثه عنه واعرضه عليه خير عرض فيراه مجردا من كل تشويه ، ويراها خاليا من كل طلاء ، او وشي ظاهر الحقيقة ، بادي الجوهر . وأرفق طلبه بالاشارة إلى وجوب الصراحة في هذا العرض ، ووجوب الجلاء ، كي يصل الى النتيجة المتوخاة . لـكنني اجمت عن اجابته عما يستل فسكت .

كنت اعلم انه قد قرأ الحب في كثير من الكتب القديمة وطالع عنه في اكثر منها من الكتب الحديثة ؛ وكنت متأكدا انه قد

اختبره في احضان كثير من النساء فعرفه حق المعرفة ؛ وادركه تمام
الادراك ، فحشيت ان لا اصيب امامه المهدف ، وان أخطي في عرض
آرائي الخطأ الذي لا أحبه لنفسي ، فسكت .

على اني لم اظهر له هذا التردد ، وانما اعتصمت بالحياء واتخذت
منه وسيلة الى السكوت وطلبت اليه ان يحدثني هو ، وألححت في
طائي ، ورجوته ان يدبر حديثه حول المرأة العربية ورأيها فيه في
مختلف عصورها . فانطلق في عذوبة وطلاوة يفيض علي من معلوماته
ويغمرني باللذة في الاستماع لجرس صوته .

واستوت كلمتها قاعدة ، وقد شاقها ان تسمع رأي الشاب في
حب المرأة ، وشاقها في الاكثر ان تطلع على حب سوا الفها . ومضت
صاحبها تتابع الكلام :

قال :

سأتكلم في هذه الناحية كلاماً صريحاً الى ابعد حدود الصراحة
وجلياً الى أقصى حدود الجلاء لا اظنك سمعت مثله من قبل . ولعل
توخي الحقيقة يحسن عني فلا يدفعك الى أخذني بلوم او بنقد والى
الانكار علي أني لم أرع قواعد بالية من قواعد التقاليد تحم على المرء
ان يحبس الحقيقة فلا يظهرها ؛ ولم اتبع عادات وسنناً موضوعة : من

سكوت في مثل هذه المواقف التي سترين وطبي ذكر هذه الحالات
 التي ستعلمين فإذا سمعت أم الضحاك المحاربة وهي شاعرة جاهلية تقول :
 أرى الحب لا يفنى ولم يفنه إلا ولى أحيوا وقد كانوا على سالف الدهر
 وكلهم قد خاله في فؤاده باجمه يحكون ذلك في الشعر
 وما الحب إلا سمع اذن ونظرة وحنة قلب عن حديث وعن ذكر
 ولو كان شيء غيره فنى الهوى وأبلاه من يهوى ولو كان من صخر
 وجدتها لا تمنع نفسها عن التعبير بصراحة عن فكرتها في الحب
 والفيها قد مارست الحب اصدق ممارسة ثم اعطتك عنه صوراً صحيحة
 لا تدجيل فيها ولا مواراة ، فالتمست لي العذر او على الاقل لم
 تلتمس لي التائب .

عرفت الحب فقالت انه أزلي لا يفنى وان الانسان هو الذي يفنى
 ثم وصلته من طرف خفي بالروح فجعلته أمس حاجة للانسان ، ولعلها
 فكرت في جعله الروح نفسها يحتاج اليه القلب كما يحتاج اليها
 فصيرته روحاً .

وتقول :

شفاء الحب تقبيل وضم وجر بالبطون على البطون
 ورهن تهمل العينان منه وأخذ بالمناكب والقرون

تراه مرضاً يعتري الانسان كأي نوع من أنواع الامراض
يعتري كل انسان ، وترى ان الحب يحتاج الى وصفة تبرؤه
فتصف له دواء وهذا الدواء هو حقيقة الحب ، لا كما يتخيله الشعراء
من مناجاة صور جميلة او تماثيل بديعة .

واذا سمعت عشقة المحاربة وهي كذلك شاعرة جاهلية ، تقول :

جريت مع العشاق في حلبة الهوى

ففقهم سبقاً وجئت على رسلي

فما لبس العشاق من حلل الهوى

ولا خلعوا الا الثياب التي ألبى

ولا شربوا كأساً من الحب مرة

ولا حلوة الا شرابهم فضلي

وجدتها لا تفهم من الحب الا انه متعة من متع الحياة يلذ المرأة ،
ويهيئ لها اسباب المرح . فقد رأت ميدانه حلبة سباق فجرت فيه
فسبقت العشاق والسباق كما تعلمين نوع رياضة عند العرب يجدون
فيها تسلية ولهواً ، ورأت ان الحب حلة من الحلل المبهجة تغتبط
له المرأة اغتباطها للحلة فلبست منه الوانا حتى اذا بليت خلعتها ورمت
بها الى عشاق آخرين فلبسوها ، وانه كالخمر ، فجرعته لا تبالي به

أكان عذبا، أم كان مرأ فالتقت بما تبقى في كاسها الى هؤلاء العشاق
فشر به.

هذا هو الحب في نظر الجاهليين تقبيل وضم وجر البطون ،
ورهن ، وأخذ بالناكب ، وحلبة سباق ، وحلل مبهرجة ، وشراب
وفي الواقع فليس الحب شيئا غير هذه الأشياء .
اما الاسلاميات ،

فهذه ليلى الأخيلية تشير من طرف خفي الى ماهيته :
وذي حاجة قلنا له لا تبج بها

فليس اليها ما حيت سبيل

فتوضح هذه الإشارة انه ليس الا ما ذكرته أم الضحاك . فقد
كانت ليلى في مجلس الحجاج فجري يدها حديث عن توبة بن الحمير
الخفاجي ، فسألها هل كانت يدها ريبة ، فنفت لكنها اعترفت بانه
قال قولا فرأت في هذا القول خضوعا لبعض الامر فنفته عن
التصريح به . وأفهمته ان ليس الى طلبه ما عاش وعاشت من سبيل
فماذا كان هذا الطلب؟ أليس هو الضم والعناق ثم ارتشاف الثغر ثم
أخذ بالناكب ثم ...

وهذه جارية لسليمان بن عبد الملك تكتب الى فتى بادرها بالحب :

خيراً رأيت وكل ما عاينته

ستناله مني برغم الحاسد

اني لارجو ان تكون معانقي

فتبت مني فوق ثدى ناهد

وأراك بين خلاخلي ودمالجي

وأراك بين مراحلتي ومجاسدي

فجند فيما تكذب ما معنى الحب

وهاك امرأة من قيس ، ترى فيه غير ما رأت مؤلاء فتعتقد

انه البؤس والحق ، وتجزم ان الفتى الذي لم يتذوق البؤس يذوقه

اذا احب وان ذا الحجبى اذا وقع في الحب غدا جاهلاً احمق :

وما كيس في الناس يحمده رأيه

فيوجد الا وهو في الحب احمق

وما من فتى ما ذاق بؤس معيشة

فيعشق الا ذاقها وهو يعشق

اما علية اخت الرشيد، فقد كانت ترى في الحب ، مجموعة آلام

ولذات وشغلا يشغل الناس عن كل شيء خلاه :

واطيب ايام الفتى يومه الذي

يروع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى
فأين حلالات الرسائل والكتب

وضع الحب على الجور فلو انصف المعشوق لسمح فهو متعة والمتعة
يجب ان يكون فيها سخط ورضى، ولا تستعذب ايامه اذا لم يتخللها
ألم تعقبه لذة او لذة يعقبها ألم؛ ويجب ان توضع على جور وغف فاذا
كان في عطف ولين سمح وضاعت لذته. وهو شغل يملك الانسان فلا
يدعه يفكر في غير حبيبته؛ ويحصر اهتمامه في رضائه اذا غضب
واستجلابه اذا اعرض وتوفير اسباب مراحه وهنائه اذا قبل

وشى صاحبي فقال: والحب كما نظر اليه الاسلاميات حاجة في
النفس تورث البؤس والحلق، وتكمن فيها اللذات وتبعث بالنفور
والشدة في ناحية والذل والاستعطاف في ناحية اخرى. ثم كف
يستجمع افكاره.

وسكتت الراوية



ايتها الآنسة ؛ يذهب اكثر الناس مذهبك ، فيقولون ان الحب باعتبار عقلى وسيلة الى الرفعة والزيادة في الخيرية ، لا يكاد احد من اهل الفطنة والحكمة يخلو من شغل قلبه بصورة حسنة انسانية (١) ويقولون انه سر من الاسرار يجعل الانسان غير انسان فقد تكون المرأة امرأة حتي تجد لها حبيباً فاذا وجدته تألمت وغدت تملك جنة وتملك ناراً وانه احساس في الروح بشعاع ازلى ولكن هذا الاشعاع ملطف في وجه جميل ومعان جميلة ولولا ذلك لأهلك ، ولا نفجر القلب من ساعته ؛ وازبه وحده يصل المرء الى الملائكية فيحيا اكثر من حياة انسان فتكون الطبيعة اكثر مما هي طبيعة ، وانه كمال الوجود الانساني لشخصٍ ما في وقتٍ ما . (٢)

ويصفه غيرهم فيقول :

الحب ربيع تنهى اليه النفس فتفتش فتتحيا فتشعر بالوجود ، وبجماله وبآياته ؛ فتستبين دقائق هذا الجمال ؛ وتطالع على خفايا هذه الايات

(٢) من اوراق الورد للرافعي

(١) لابن سينا

فتقف على ما لم يتسنى لها ان تقف من قبل او ما لم يتسنى لها ان تقف
لولا الحب . وهو « نسيج وشيه الخيال » ومسامرة الاماني ومسايرة
الاحبة ، والشئ الذي ينيل الانسان ما يشتهي والقلب ما يتوق إليه
ويرى اكثرهم ان فيه تحقيق كل انسان روحانيته في غيره
وانه امتلاء حياة بحياة وانه قدرة انسان على قلب آخر ؛ ثم قدرة على
الكون المتصل بالثاني ، ثم الوهية .

لكن الحب في الاصل ليس شيئاً من هذا القبيل وانما هو شئ
غير هذا يمد كل البعد عما قالوه وصوروه ووصفوه ، وهم يعرفون
ذلك تمام المعرفة ، لكنهم يكابرون فينكرون الحقيقة الصريحة
ويشوهونها بما يسبلون عليها من اوصاف والقاب ونعوت ، وسأحاول
هنا ان آخذ بعض آراء عرضتها عليك فانقدها وانا اعلم بانها منقودة
بنفسها غير اني في سبيل اقناعك ، او بأوضح قول في سبيل ازالة
الطريق امامك كيلا تأخذك ظواهر الكلم ، لا ارى من بأس
في الوقوف حيناً عندها ، وفي اخذها بشئ من النقد .
ثم قال :

اما ان تتأله المرأة في الحب فذلك واسمحي لي ان اقول اسخف
ما وصل اليه الخيال .

فضحك عجبى

وتابع هو :

فالمرأة تبقى امرأة لكن الرجل ، لشدة ولعه بها يزين له انها غدت
إلهة لها جنة ولها نار . فتأمر فيطيعها ؛ وتنهى فينتهى . حتى اذا خف
ولعه وتلاشى كفر بها وبنعيمها وجحيمها ثم نبذها نبذ النواة ، فلم
يجشم نفسه ولو التفكير في مصيرها .

واما ان يصل المرء الى الملائكية فشيء اسلم به الى حين ، واعني
الى حين يزول الحب فاذا زال وكان الفراق فالقطيعة فهلا يهبط الى
منزلته الحقيرة الاولى . فكيف يرضي بالحقيرة من عرف الرفعة
وكيف يعود الى اخفض المحلة من كان في اعلا الطباق هلا ترين
انهم يريدون ان نعتقد ان لكل انسان ان يصعد الى السماء فيبقى فيها
زمنًا يذوق ما تذوق آدم حتى اذا انتهى ميعاده هوى الى الارض هويًا
لا يرجو بعده صعودًا

واذا كان الحب قدرة انسان على قلب انسان ، فما باله لما يسלוه هذا
الانسان لا يستطيع ان يستخدم هذه القدرة على قلبه مرة اخرى .
او كان الوهية ، فما للحبيب - اذا عشق - يمسو عبداً ولا يستطيع
ان يحفظ مكانته فيرغم غيره على عبادته واعني ان الحب هو العبد

وان الحبيب هو الاله في حين من الدهر فان عكست الايام الحال ،
وعشق الحبيب فانه يغدو محباً اي عبداً . فكيف يرتقي العبد الى
الالهية ويهبط الاله الى العبودية . اليس هذا من لغو اتقولي ؟
وتبسمت ، فتبسم ، فقال :

فهذه الآراء وما قيل من قبل ، وما يقال من بعد آراء يستصوبها
الموهوم الساذج الذي يأخذ ذخرف الكلمات فيندفع يردد ما سمع
دون ان يعي ، ودون ان يدرك ، كأنه البغاء .
فما الحب ؟

فصاحت به في لهفة ؛ فما الحب . فاجابها :
يرى احد الادباء المصريين في الحب رأياً لا تطرف فيه ولا غلو
احب ان اعرضه عليك لما يحوي من حقيقة في الوصف وصدق في
التعريف . واحب ان اجثك على ان تبذلي قليلاً من التفكير
بعد اطلاعك عليه لتجدى انه حق ، وانه امر لا يتفق لك ان تجادلي
فيه .

يقول : ان الحب مرض لكنه لا ينفذ الا الى السليم ما حفظ صحته
فاذا اعتل فرض فان سوراً يرتفع بينه وبينه فلا تجد جرثومته الى
جسمه سبيلاً .

تصورى انك عاشقة هيمي قد شغلك الحب فلا ترين الا الحبيب
ولا تسمعين الا صوت الحبيب ؛ وانك امسيت تحمين له وتعيشين
به وأمسي كل ما فيك من حيوية وروح لا يفتأ يردد اسمه العذب ويرتله
ما شرقت الشمس ؛ وسطع النجم ؛ وانبثق الفجر . تصوري ذلك
مكلمه ثم انظري الى نفسك وقد اصابك شيء من سوء الهضم مثلاً
فسبب لك صداعاً في الرأس او حمى في الجسم ، وانبثني هلاً
تزالين تفكرين به ولسانك يردد اسمه وقلبك يهتف بذكره وقولي
واعتمدي الصراحة تامة في هذا القول: هل يكون شأن الحب معك
في الصحة شأنه معك في المرض .

انا اوقن كل اليقين ان الجواب سيأتي سلباً ولن يأتي ايجاباً .
واما رأيي، فيتفق في المعنى مع هذا الرأي كل الاتفاق ولكنه
يختلف عنه في التعبير فلا اقول انه مرض وانما اقول انه غريزة
جنسية يخضع لها المرء في صحته ولا يخضع في مرضه ، وسبب قول
غريزة اني لا اعترف بوجود شيء بين ذكر وانثى اسمه حب وانما
اعترف بوجود شيء اسمه غريزة جنسية وقد يسأل سائل لم لم يأت
هذا الاسم في تعابير الاولين من الناس ولا في تعابير المعاصرين
فأجيب ان الناس اتقادوا الشيء من الحياء فكانوا يخجلون من ذكر

الفريزة فيعبرون عنها بالحب ، وهذا الخجل الذي لا يبرره مبرر
تملكهم اشد التملك فخلد «المجاز» واعمجى «الاصل»

وكانت الخادم قد وافقها بالشأى فانقطع جرى الحديث والتفت
كل منها الى كوبه يذيب السكر .. مطرقاً ساكناً . وقد اخذ
الفتاة شي من التفكير فيما سمعت فما نبست بنبت شفة



المرأة.....

وجذبتة اليها، فأخذها بين ذراعيه وأدنى وجهه من وجهها فشعر
بانفاسها الحارة حول فمه، وبأن له في هذه الانفاس انها جائعة، وان
فيها رغبة. فلم يأبه للجوع الجنسي لأنه أمر طبيعي مصدره في تركيبها
كله يزيله الحب بين الروحين وتزيله صلوات خفية بينهما، وانما أنه
للرغبة الجنسية لأنها ليست الا الهوى او بعبارة اكثر وضوحاً
ليست الا عضواً يطلب العمل، ومصدرها الاقسام الحساسة من
جسمها. وحق له ان يهتم بها لانه يعلم المرأة - كما تقول هي عنه -
كل العلم ويعلم بنوع خاص ما هي هذه الرغبة، وكيف تكون
عند صاحبته. فهو يخشى اذن ان يحتاجه عاصفتها فلا يتمكن من
مقاومتها فيحدث ما لا يحب ان يحدث. وفكر في الابتعاد لكنه
وجد نفسه بين ذراعين تشدانه فلا يستطيع الأفلات منها الا اذا
آلها. وقد آلى على نفسه ان لا يسبب لها أقل ألم، فصبر على مضض
حتى اذا سمعها تتم بضعف متعمد: أحبك. ظهرت في نفسه الرغبة
وأمحى أثر الخشية والجزع، فضمها اليه بقوة يرتشف من نغرها

الرحيق العذب الزلال .

وتمضي ثوانٍ ...

فاذا الرغبة قد زالت ، واذا هو قد عاد كالأول يخشى ان يطّور
الامر من حال الى اخرى فيفلت منها مرغمًا يدفعه دافع خفي ، فتتهالك
على المقعد الواسع حائقة غضبي فقد نعص عليها لذة هي كل امنيتها وقد
تركها فريسة الغيظ والحنق يحرقانها حرقاً .

وما حيلته ؟

والطبيعة قد قضت بأن تظهر الرغبة عنده بسرعة وتلاشى بسرعة
بينما قضت بأن تظهر عندها بتؤدة ورود وتزول كذلك بتؤدة
ورود .

فلما نظر اليها ورأى الغيظ يطير شرراً من عينيها عرف انها في
ساعة غضب ، وانها اذا كانت غضبي لا ترضى بسهولة ولا تقنع بأية
حجة فلم يجد خيراً من ان يبتعد عنها ، فجري في سبل الحديقة الضيقة
فضاع بين اشجارها .

هو يحبها كل الحب لكنه في حبه أرق قلباً وأكثر ادراكاً
منها .

وهي تحبه كل الحب لكنها في حبها اصلب قلباً وأقل ادراكاً

وهذا هو شأن النساء عامة ، كما هو شأن الرجال عامة ايضاً .

ولبت متواريًا بين الاشجار يستعرض ما يجري له وما انتهى اليه أمره ويفكر في تبرير موقفه امامها ثم استفاق لنفسه فتصور هيفاء نائمة نائرة واعترف بأنه كان السبب في نغمتها وثورتها وتساءل أتجنبي هل استطعت ان أروقها ، فهتف به هاتف انها كانت تجيبك وانك كنت تروقها . فأوجس خيفة من «كان» ان يعقبها صدود واعراض وتزاحمت على مخيلته الافكار ، وكان يعتقد ان المرأة المحبة شاكة ابدًا وان اسباب السعادة والهناء التي تتوفر لها لا تساوي ساعة تغلب اهواؤها ويمتنع حبيبها ان يهيئ لها اللذة فيها فأيقن من تنكرها واعراضها .

ولم يبرح مخبأه بين الاشجار ينتظر ان توافيه او ان تناديه اليها او ان يلمح شبحها عن بعد فيهرع اليها دون موافاة ولا نداء لكن شيئًا من ذلك لم يحدث فانقطع عن تفكيره واقبل ينصت بقلبه وسمعه فلا يسمع أي صوت أو أي حفيف ومضى عليه أمد غير قصير وهو على ما هو لم يستطلع منها خبراً ، فأستنتج ان ظنه قد صدق وان

هيفاء قد نفرت منه .

ما حيلته ؟ وهي بنت بكر لم تعد الثامنة عشرة ولا تزال تحت رعاية أبوين لا يدریان من أمرها الا انها فتاة ليست كبقية الفتيات تخضع لارادتهما وتتذكر للشباب وتبغضهم فلا تريد ان تقف لهم على أثر . ويجهلان انها تهبه نصف حياتها اذا قبلها في ثغرها قبله ووضع فيها كل ما عنده من حيوية وحرارة وتذوقت فيها ما في الطبيعة من لذة ؛ أو ضمها الى صدره فشعرت بأنه سحق اعضاءها سحقاً ومزجها باعضائه وبأنه نزع قلبه مضطرباً خفاقاً وألقى به اليها فشعرت باضطرابه وخفقه ما بين صدرها وجوارحها .

هل يلين ؟

فيسلبها أئمن ما عندها ، ويسلبهم أئمن ما ادخروه . لا انه ليأبي فالرغبة - تلك الآفة التي كثيراً ما ارتعب منها حين أحس بها - تلح على الفتاة كل الاحاح فتريدها في غير صبر ، حتى اذا تهيأت لها وانتهت فمرقتها لهفت على ذكرها واندفعت الى الاستزادة منها اندفاعاً يعلم الله ماذا تكون نتيجةه وماذا تكون عقباه .

لا انه ليأبي فيحفظ لها عفافها وطهرها ويحفظ لهما كنزهما ومحط آمالهما .

لكن اللذة!...

اللذة- التي تنفع الرجل لسعادته كما يقولون ويستطيع ان يبعد عنها
او يستأخرها- تجب للمرأة لصحتها وسعادتها فلا تستطيع ان تستبعد عنها
او تستأخرها.

فأما الشرف .. وأما الصحة ... أيهما يحفظ ! أيهما ؟
أيها الإله ان (دماغه) لم يعد يستوعب التفكير فانقذه مما ورط
فيه وأهده الى سواء السبيل .

- قلت لك اني لن افتح الباب فأمض من حيث جئت ولا تحاول
ان تقنعي فقد علمت منك كل شي * . فقال :
- فدعيني أكلمك عن المانع الذي منعي عن الابعاد فيما ذهبنا اليه
فلعلك اذا فكرت ملياً وجدت فيه الصواب واقلمت عن هذا العناد
فقلت :

- هذه خدعة لن تنطلي علي بعد الآن ، فأبتعد فأذهب الى
حيث يحلو لك . فنادها :
- هيفاء ! فسألتها :
- مالك ؟ فأجابها :

- افمحي أي أقر بذنبي وأتوسل إليك ان تصفحني . فقالت :

- لا سبيل الى هذا فقد علمت منك كل شيء . فقال :

- انك لمتقسين علي يا هيفاء . فقالت :

- وكنت أشد مني قسوة في اعراضك . فقال :

- فقد فكرت فيك وفي اهلك وخفت عليك من طيش الشباب

فقالت في سخرية ممحضة :

- أتكون أرأف مني بنفسي ؟ فقال :

- بلى ، لقد تملكك الرغبة فلم تتصوري العاقبة فصاحت به :

انك لتؤلمي اكثر من ذي قبل . أنصرف فلا أحب ان

أراك الآن .

وتراجع عندها هذا الاصرار وسار في سبيله الهوينا مطرقاً قد بدا

على وجهه سيماء الحزن والاسى . وبينما هو عيشي اصطدم لدى

الباب بأت فرفع اليه عينيه فأذا هي ميساء صاحبتها فحيمته فحياها فبادرها

بالكلام .

- كنت عندها . وحدث بينهما حادث فنفرت مني فأبذات عليها

استغفرها واستلينها . فلم تغفر ولم تلن . وقد كنت عزمت

على رأي وأردت ان افاتحها به لكن اعراضها واحتجابها في

معتكفها لم يعهد الي السبيل الى ذكره فاذهي اليها واشفعي لي عندها
واجتهدي في ذلك حتى تروق فاذا راققت فاضربي لها موعداً عندك
أو افيك فيه فنلتقي وأذاك افاتحكما اثنتكما به .

فسأله :

- فما هو ؟ فقال :

— هذا سري أحفظ به الآن وأعدك ان أطلعك عليه اذا نجحت .

في مسعاك ولعله يكون مفاجأة سارة .

ثم انطلق لا ينتظر منها جواباً .

فتابعت هي سيرها ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

فوجدته قد مضى ..

جاس الأصحاب الي مائدة حمات على ظهرها ما في البلد من
الفاكهة والشراب ، واخذوا في انواع من السممر فاشتهوا الي المرأة
فقال كل منهم ما عرف عنها واستنتجته . وكانوا اذا اعجبوا بحديث
أوراقهم وصف صفقوا طرباً ، ورفعوا كئوسهم الي شفاههم يشربون
ما فيها في جرعة واحدة . فصاح أحدهم والكأس لا يزال دانياً على
شفتيه :

- هل المرأة جامدة ؟ فأجابه بحبيب :

- كلا انها ليست جامدة ، وانما الرجل الذي لا يعرف كيف
يستثيرها لا يجد فيها الا الجمود . وأنبرى آخر فقال :

- وان هذا القسم من الرجال يدفعون نساءهم الي البحث عن
احضان أخرى ولذة أخرى . فخري برجل هذا شأنه ان يتبعد عن
الزواج . فوافقوه واذداد احدهم فقال :

- لا تيقظ رغبة المرأة ولا تزكو الا بتأثير الرجل فثلها كمثل
الزهرة لا تحيا الا بالشمس فخري برجل لا يستطيع ان يجعل من

جمودها حركه وهيجاناً ان لا يدنو منها فيسيء اليها والى نفسه .

وقال ماجن :

- ولعل اغرب وافككه شيء قرأته في كتاب فرنسي (١) عن

الزوج الذي لا يستطيع ان يقوم بواجباته ما اقصه عليكم الآن :

« يقول الشيوخ الالمان : يجب على الرجل الذي لا يستطيع ان

يقوم بواجباته نحو امرأته ان يحملها الى جاره ؛ واذا لم يرضها هذا

الجار ان يأخذها بهدوء الى بيت آخر ، ويضعها على اقرب سرير دون

ان يؤلمها وينتظر خمس ساعات ، ومن ثم اذا لم يرضها من هناك ان

يرفعها برفق ويضعها كذلك برفق وقد خاط لها ثوباً جديداً

في قطار يقلها الى أول وأدنى معرض يقام في تلك السنة وهناك اذا

لم تكبح جماحها فليلق بها الى الشياطين ... قد يرضونها . »

فضحكوا ضحكاً متوالياً حتى اذا سأل سائل :

- ايها الصحب ان كلا منا تبّع زير . فليرو لنا ما استنتج ووجد

عندهن . سكتوا مرهفين الاُسماع صاغين الى جواب من ينبرى

فقال قائل :

من بينهم .

ان اللذة التي تبتهج لها المرأة وتهب لصاحبها نصف حياتها

(١) راجع كتاب (المرأة العاشقة) لهنري داليرماس

في سبيلها هي التي تستغرق عملية تهيتها زمناً غير قصير فهي تعشق
 إذن الاخذ البطيء والاستيلاء السريع بشدة ولا تنتظرهما الا من
 عدد محدود من الرجال . وقد دلت التجارب على انها مهما تمنعت
 عن اللهو مع زوجها أو رجلها بأية حجة كانت لا تستطيع ان تصبر
 على امتناعها وانما لا بد لها من الرضوخ فهي تحب إذن الرغبة
 والتوسل والاحاطة بها شيئاً فشيئاً . ويمتاز حبها لذاتها بالعدوثة والرقّة
 واللفظ ، هذا ما لمستّه في وقائع عديدة جرت لي معها ، وهذا ما
 يوافقني عليه هانري دالير ماس في كتابه « المرأة العاشقة » ، وقال ثانية :
 - المرأة الشاعرة تكون امرأة اكثر من غيرها فقد وجدت
 في خطيبي التي تقرر الشعر وتحلق في أجواء الخيال في اكثر
 احيان فراغها المرأة التي لم أعرف بعد مثيلاً لها . اما العالمة التي تهتم
 بأثبات النظريات او دحضها بالبراهين والحجج ، فلها من علمها ما يليها
 عن أي شيء عداه ويأخذ بمجامع حواسها ويهدي من مشاعرها (١)
 فتكون كأنها ليست بذات قلب ولا بذات شعور وتعترف هذه
 بأن من الجنون ان تمضي حياتها على هذا النحو مقفرة جدباء .
 ولقد قرأت ما كتبه الآنسة صوفي كودالسكي (٢) في كتابها
 (١) من آراء لشوبنهاور (٢) كانت استاذة الرياضيات العليا في جامعة استوكهولم

«ذكر ياتي» انه .. . من الجنون ان تقضي المرأة حياتها في العلم
واكثر من الجنون ان يكون عندها ذوق في العلوم كل شيء في الحياة
يبدو لي عديم الفائدة . فلم ؟ أليس لاني لا يحبني أحد .. قد كنت
أستطيع ان اعطي حبيبي ما لا تعطيه امرأة غيري»

ويقول هاري دالير ماس ايضا في كتابه المرأة العاشقة «والانكباب
على العلوم في الواقع يكسب الوجه سيماء الرزاة فلا يسر الناظر اليه
ويفقد العيين قوتها وسرها وبريقها فلا يبقى لهما مفعول وتلاشي
خفة الروح التي لا يشق الرجل في المرأة غيرها . والمرأة يحجبها لأن
تسعد في الحياة ان تكون جميلة أخاذة وهذا دورها في الحياة فاذا
لم تكن كذلك فقد لا تجد لها بين اترابها منزلة في قلب الرجل .
ثم قال بعد صمت قصير : ولست أدري هل اذهب مذهب (سان
بون افاتور) فاقول ان كل خبت يهون امام خبثها ومذهب (سان
سيبران) فاقول ان معاشرتها اقتحام للغواية وان كل شيء فيها متحفز
على جرح من يقربها أم....

وعلا صوت من الباب يقطع كلامه ويقول :
- كلا القولين صحيح ، كلا القولين صحيح .

فالتفتوا الى المفاجي في غير انذار فاذا هو سميع ، فصاحوا به

فرحين مرحين والتفوا حوله وسألوه بالحاح :

- الام تستند ؟ الام تستند ؟

فأجاب ، لكنه لم يزد على أنها تسبل على الحياة الوانا متباينة ، فتجعلها جنة فيها كل النعيم وكل الهناء حيناً ، وتجعلها جحيماً فيها كل العذاب وكل الشقاء حيناً ..

الانتقام

كل امرأة تخال أنها اهل للحب ، ولا يعجبها تفضيلها على سواها لكنها لا تريد ان يؤثر عليها غيرها . فاذا كان ذلك فقد غضبت وبعث الغضب فيها كوامن الشر فنشأ عنها الانتقام فانتقمت باساليب جديدة وهائلة قد لا تخطر للرجل .

والرجال كما تعلم اقل عدداً من النساء فالتنازع بينهما عليهم اما لاستجلابهم واما للاستئثار بهم أمر طبيعي جداً يجعل المرأة اكثر ولعاً بالانتقام واكثر خضوعاً لهذه الغريزة .

وقديماً قال الفونس كار : « الحب بين امرأتين كالحب بين عطارين متقابلين في محلة واحدة » وقالت مار كيزة دولامبير : « تجتمع النساء بالضرورة لا بالدوق » وقال غيرها لا يقوم بينهما حب متبادل

لأنهن غريمات بعضهم لبعض .

الفقرة

تغار الفتاة من اترابها المتزوجات حديثا ، والام من ابنتها الكاعب
الحسناء ، وتغار الخادمة من زميلاتها ؛ والسيدة من وصيفتها الجميلة ،
والوصيفة من سيدتها الغنية .

واما الشريفة التي لا تستطيع ان تذوق غير لذات زوجها ،
فتغار من المبتدلة التي تستطيع ان تذوق مختلف الوان اللذات وهذا
نوع من الغيرة شديد الخطر ، اكنة خفي مكتوم لا تظهره لك
المرأة ابداً وتحاول جهدها ان لا تتركك تشعر بأنه يملكها .

من كتاب «المرأة العاشقة» لهازي داليرماس



صديقي

قد سمعت لك عند هيفاء ، واستطعت
ان استليها واستضربها وعداً بالحضور الي
في صباح الغد فكن عندي في الموعد
المضروب ،

«ميساء»

مشكلة الحياة

الزواج

١

- حسبك لا تشعشع الحديث بالصباغة ، ولا الاعتذار بالاستعطاف ، فانك قد تأخرت فأين كان هذا التأخير ؟ . فقال :
- في تحضير المفاجأة ، التي كنت قد وعدتكما به . فانبرت هيفاء ترسل كلامها الى صاحبتهما :
- اما زلت تعتقدين صدق تودده وتقعين في شبك مكره . فقال باسماء :
- يسرني انك تكلمت ولو كان كلامك تهمة ووصماً . فلم تملك نفسها من بسمة عارضة ومضت على ثغرها وميض البرق ثم عبست فقالت :
- هذا شأنك ، الاعتذار والتوسل اذا اخطأت ، والعبث والسخرية اذا تيسر لك . ميساء المثل هذا دعوتي ؟ ونهضت تحاول المضي فاندفع نحوها يمسك بها واندفعت ميساء توصل الباب . فقال :
- لن اقدم بين يدي القصة لشيئاً واكتفي بان اقول :
- لقد خطبتك الى ذويك . وشدهت الاثنتان لحظة ثم تكلمت صاحبتك :

— انت ؟ خطبتني الى ذوي ؟ . فقال :

— انا ! لا ... فسألته حيرى :

— فماذا كنت تريد ان تقول : فقال :

— أردت ان اقول ان الخطبة قد تمت وانك الآن خطيبي .

فصاحت به :

— ما رضيت بك صديقاً فكيف ارتضيك خطيباً ! قال :

— هذا كلام لا تلبسين ان تنكريه على نفسك اذا عاد اليك

رشدك واستوعبت قولي . او اذا كنت لا تضمنين غيره . فاني

اعلم انك فو تحت بالامر فاذنت :

— واذا اذنت انا فهل الامر لي ؟ . هنالك ابي ؛ هنالك ابي .

فاجابها :

— ليس اليهما من الامر شي^(١) فالبكر لا تنكح حتى تستأذن ،

والابوان اذا آتاهما من يرضيان بدينه وخلقه ، فلينكحاه^(٢) فسألته

(١) جاءت فتاة الى رسول الله (ص) فقالت : ان ابي زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته . قال فجعل (ص) الامر اليها فقالت قد اجزت ما صنع ابي ولكن اردت ان اعلم النساء انه ليس الى الآباء من شي .

(٢) قال النبي (ص) لا تنكح الاثيم حتى تستأثر ولا البكر حتى تستأذن .

(٣) وقال (ص) اذا اناكم من ترضون دينه فانكحوه .

ميساء :

— أين كانت المفاجأة في هذا الامر ، فقد فو تحت فيه وعامته من قبل ان تأتيها انت بذنبه . فقال :

— المفاجأة كانت في اني لم اصنع ما املت مني ان اصنع فلم اذهب الى ابيها فاخطبها ، وانما كلفت ابي فذهبت الى امها فخطبتها فاتبعت في ذلك رأيا رآه النبي (ص) لخولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون حين سأله ان يأذن لها في تزويجه . (بلى فأنكن معشر النساء أرفق بذلك) وحققت به غاية كنت اضمرها واريدها فقد احترمت آراء ابي فجعلت الامر لها . أفليس في احترامي آرائها تقديساً للمرأة ورفعاً لمنزلتها . والمفاجأة ايضاً اني سأطلب اليها بعض امور وأشترط ان ينفذها كلانا تأميناً لهنأفها وحذراً من تنغيص صفو ايامنا :

أبتغيها ان تكون زوجة محصنة غير مسفحة ولا ذات خدن كما أعدّها ان اكون زوجاً محصناً غير مسفح ولا ذا خدن ، لها مثل الذي عليها ، ولي مثل الذي علي ، لا اطالبها بشيء الا وقدهيات لها مثله من قبل ، فاتزين لها كما تترين لي ، واحترمها كما تحترمني ، فلا تحكم بها او اتخذها عبدة استذلها واستخدمها ، ولا تحكم بي او تتخذني عبداً ، وابتغي ان نكون عدا هذا زوجين صالحين قاتنين

نحفظ الغيب فلا يطلع أحد على ما بيننا ان خيراً او غير خير .
تتلى بالجواز ، وتبادل الثقة فلا ندع للغيرة سبيلا الى نفوسنا
ونرعي اقاربنا فلا نمهد للبغض علينا سلطاناً . لا نباري سوانا وانما
ندفعه الى مباراتنا ، ولا نسرف ولا نقتر ، ونكون غير سريعين في
الغضب وغير مهدين بالفراق . نضمن اتحادنا وارتباطنا بالحب
الصادق الدائم ، ونبعد كل البعد عن الحقد ، والنفور ، وانزاع .
واصرح باني لا اطمع بمالهـا وانما ابقيه لها ولترفعها فلتصنع به ما
تشاء . ولا ايسخ لنفسي ان اظلم او أقسو ، ولا ازديها ، ولا أضغط
عليها ولا استبدبها ! ولا اكتم عنها أي شيء فاشاطرها آلامي وافراحي
وتشاطرني آلامها وافراحيها .

ولا احب ان يكون في يدي كلفة فتناديني بيا سيدها وأناديها
بيا سيدتي ، واحب اذا غضبتُ ان تظهر في مظهر الالباء والشمم ،
واذا رأت في اعوجاجاً ان تقومه فليس اعذب علي من ان تكون
امرأة قوية في نفسها ، وقوية في ابائها ، وقوية في آرائها .
اني أرى هذا كله ، وأحب هذا كله وأريد ان انفذ هذا كله ، فاذا
كانت هيفاء تراه وتحبه فلنكن شريكين ولتكن عوناً لي على تنفيذه
ثم نظر اليها فرآها باسمه هاشة يسطع في وجهها بريق الامال

والاحلام . ففتح لها ذراعها فارتمت بينهما فرحى طروب . فقال :
- الان ارضيتني صديقا وارضيتني خطيبا .

هذه الايام السعيدة من الحياة لن ندعها تمضي مضي الزمن وانما نستعيد لها في كل يوم وكل اسبوع ، فادعك تشعر ابدًا بانك خطيبي وادعك لا تحسب ان «شهر العسل» قد انقضى ؛ فاحفظ لك سرورك وبهجتك واحفظ لنفسك هدوء منزلي وسكونه .

سنأخذ من يوم الجمعة عيداً ننسى فيه ما يحيط بنا فنغرق في هناء ونعيم ، كهذا الهناء والنعيم اللذين قد غمرنا الله بهما .

ستكون رجلاً من الرجال الا انك بسام طروب واكون امرأة من النساء الا اني بسامة طروب فاحتملك بأناة ورفق ، وتحملني كذلك بأناة ورفق فلا تخاف مني نشوزاً ولا ذرّاً ولا جرأة . لاني لك كما أردت ان تكون انت لي .

سأحفظ عهدك ما حفظت عهدي ، واقوم على وعدي ما قمت على وعدك فاذا ثبت ثبت واذا حدت عن الطريق القوية هديتك اليها فان لم ألق منك غير الاعراض قابلتك بما لا يرضيك ولا يسيء الى ربي فتعود الي مستغفراً .

اما مالنا فسنستثمره ، ونخفيه ، ونحفظه للعوز والفاقة او ندخره اذا
لم نفاجأ بهما لاولادنا من بعدنا ، واني أريد ان يكون لنا ميزانية
لا نحيد عنها في صرفنا وبحاسب كل منا نفسه فيرى اذا كان يبذر
او يقتتر . فيبعد عنها ويتخذ حالة وسطى ، واما اطفالنا فاهم في عهدي
وليس لك عليهم اي سلطان فأنا الراعية في منزلي وانا المسئولة عن
رعيتي ولكن لك الاشارة علي في تقويمي اذا رأيت في الاعوجاج . على
اني أعدك ان ابذل جهدي فلا أعوج ما استطعت .

كان ينظر اليها في اغتباط فيتحسس في كلامها روح الزوجة
الطاهرة الصالحة ، ويجد فيها المرأة التي تعز الرجل اكثر من نفسها
فتحصر له وقتها وصحتها وجودها فيعجب بها ويسكت فلا ينبس
بحرف . وكانت تتكلم بكلام منسجم طلي لا تكف فيه ولا تصنع
فيلذ ويطرب حتى اذا انتهت ، او خيل اليه انها انتهت - فقد توقفت
تستجمع شوارد افكارها - انطلق يصور لها ما اختلج في نفسه ،
وما تكون لديه من اعجاب واغتباط ولذة ووعدا ان يقوم بكل
ما رغبت اليه ويحق كل ما اشارت به عليه فيبقيان خطيبين ويجعلان
يوم الجمعة يوم عيد ينسيان فيه ما لقيا . طول الاسبوع الماضي وتهيأ ان
للاسبوع المقبل بنفس فارغة من الهموم ، مغتبطة بالحياة . فقد رأى

فما قالت اصوب الصواب، ووجد اسدد الرأي .

ثم التفت الى ماحوله فاذا الشمس مالت الى مغيبها فانعكست على
سطح البحر الرقاق فبدت فيه كأنها قرص من ذهب لها بريق ولها
لموع كما اعتكس الافق الاحمر على الماء فبدا منظر الغروب فاتناً
اخذاً .

ونظر الى المائدة فاذا ما عليها من جليد قد فقد تجمده فذاب فعاد
مائماً حاراً فنادى الغلام فوافاه فطلب اليه ان يحمل ما امامه ويعود بغيره
فامتلئ للأمر .

وانصرفا بعد حين، وقد اسدل الليل ستره وانبعثت الانوار لالائة
وضاءة مشيعين بانظار الاستغراب والاعجاب ، فقد كانت سافرة
لكن سفورها كان غير مألوف وغير معهود : لفت رأسها
بوشاح فحجب شعرها كله او اسدلت على كتفها « برنسا » أحاط
بعنقها فلم يظهر ، ووصل الى ساقها فحجب تقاطيع جسمها وتكوينه
كانت سافرة لكنها احبب من المتحجبات ، وتملك حريتها فلا تفرط
فيه تفريط بنات جنسها من ذوات الحجاب او ذوات السفور .

أخي

كتبتي الي تسأني عن رأي المرأة الجاهلية في الزواج، فلا أجد
خيراً من هذه القصة التي يرويها أكثر كتب الادب، فاسردها
عليك فتطمعك على ما تريد:

«اجتمع اربع فتيات لذي الاصبع المدواني فتساجين بأمانهن،
وقد عقابن ابوهن فلم يزوجهن. فقالت الكبيرة:

الا ليت زوجي من اناس ذوي غنى

حديث الشباب طيب النشر والذكر

لصوق بأكباد النساء كأنه

خليفة جاف لا ينام على وتر

وقالت الثانية:

الا ليته يعطي الجمال بديئة له جفنة تشقي بها النيب والجزر

له محركات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر

وقالت الثالثة:

الا هل تراها مرة وحليلها اشم كنصل السيف عين المهند

علماً بأدواء النساء ورهطه اذا ما انتمى من اهل بيتي ومعتدي

وقالت الرابعة :

- زوج من عود خير من قعود .

فلوجزت فجاء ايجازها ابلغ من أى اطناب وأي اسهاب فالجاهلية
اذن كما رأيت تريد ان يكون بعلمها ثرياً في عنفوان الشباب وجميلاً
فاتناً ، فاذا لم توفر فيه هذا كله او بعضه فلا تأبى وانما ترضى به حتى
ولو كان من عود ،

واما الزوج الشيخ فقد قالت امرأة ابي العاج السكابي وكان قد
تخطى الشباب في زوجها :

شئت الشيوخ وابغضتهم وذلك من بعض افعاليه
ترى زوجة الشيخ مغبرة وتسمي لصحبته قاله
فلا بارك الله في عرده ولا في عظام أسنه البالية
فتستطيع انت ان تلس في شعرها ان الجاهلية لا تحب الزوج
الشيخ ، وانما تكره وتبغضه ولا تبارك فيه فتأكد من كلامي .
وبعد ،

احسبني قد قت بعض ما يجب علي واعتذر اليك عن هذا
الايجاز ، فقد كان لي من أعمالي ما يمنني عن الاسترسال .

«سمير»

في المجتمع

أثر المرأة

مربيها

تعليمها

انبعث الصبح ريان الندى عطر الانسام فاستقبله سمير وبعض
 ذوى قرباه في جنة تعطفت اغصان اشجارها فهدلت شعورها وانساب
 الماء في جداولها وسواقيها رقراقاً شادياً وحلقت الطير في فضاءها
 الصاحي فرحة صادحة واخذوا في انواع من الحديث وقد التفوا
 حول حوض تكتفه عرائش وخمائل من الزهر . الا ان الحديث
 كان جافاً في اكثر احيائه تنقصه الطلاوة وتنقصه العذوبة وقد شعر
 كل منهم بانه لا يجد لهذا الصبح الجميل أي جمال ولا يتنشق في هذا
 النسيم العطر أي عطر ، وشعر الى هذا الفراغ والوحشة ولكنه لا
 يعرف ما الباعث الى هذا الفراغ والوحشة فالجو كان فاتناً في بهاء
 والصحب كان منعقداً في انسجام والطبيعة كانت ساحرة في روعة .
 وكثيراً ما حاول ان يتخلص من الكلام فيسكت فيصنئ الى نفسه
 فيحدثها او تحدثه ، فتجيش هواجس المنى في صدره ، وتتناهب نوازع
 الآمال .

ولما جاءتهم هيفاء بأكواب الشاي كان المجلس قد نال أوفر نصيب

من الملل والفتور ، او قد نال ما يفوق نصيبه الوافر من هذا الملل
والفتور . وتلتها ميساء ووافتها اختها ، فانتظم الجمع حول المائدة كل
امرأة الى قرب زوجها وعاد الحديث فانبعث حياً يجري في بهجة
ومرح ، فاذا النفوس غير النفوس ، واذا المتجاذبون اطرافه غير الذين
كانوا يتجاذبونه من قبل ، واذا الكلام موزون في تفكير وروية ، لا
يرسل على سجيته ارسالاً ، فلا تجد فيه هراء ولا جزافاً . تجري فيه
النكتة اثر النكتة ، والفكاهة تلو الفكاهة ، فلا تسمع الا ضحكاً
عالياً ، يشيع في رينه عنوبة وسحر :

قال احد الرجال :

- المرأة مصنع الرجل تنتجه في هدوء وسكينة ، فيكون من
انتاجها اعلام الشعوب ، او زعماء تنقاد اليهم الامم ، او ساسة يكونون
اما صواعق حرب تأتي على الارض فتحصد من وما عليها واما
ملائكة سلم تهبط على هذه الارض فتغمرها بالدعة والسعادة والهناء .
والبيت مدرسة العالم الاولى ينشأ فيها الطفل فيخرج بعدئذ ، بطلاً
يطأ هام الامم اذا نفخت فيه امه روح الاقدام والقوة . او داهية بارعاً
يلعب بمقول القادة والحكام اذ القنته كيفية تدير ورسم الخطط ، او
شاعر أملها اذا اعامتة كيف يصوغ مايولده الخيال ، او اقتصادياً اذا حبيت

اليه روح الاقتصاد والتوفير .

والبيت مدرسة العالم الاولى ينشأ فيها الطفل ، فيخرج للناس شقياً
يريع العالم بحوادثه واجرامه اذا لم تهده امه الى سواء السبيل او لصاً
يضجر منه الناس ويخشون على اموالهم من شره ، اذا لم تربه على
الفضيلة والنبيل ، او خائناً يتلاعب بمقاييد البلاد والأمة فيغدر بها
ويورثها الدمار والاندثار اذا لم ترع فيه الوفاء والامانة والصدق .

وهذه ام عبد الله بن الزبير ، تخلق من ابنها اليأس رجلاً جديداً
وتجعل منه ناراً حامية وتصور له المجد دامياً فانياً ، وهذه الخنساء
وغيرها وغيرها من نساء العرب اللواتي بعثن في الرجال كوامن
القوة والاقدام والرجولة يعطيننا درساً وافياً في اثر المرأة في المجتمع
والرجل فلعل رجالنا ينظرون الى هذه الناحية فيفسحون في المجال للمرأة
فتفسير نحو السكال قُدماً ما فتكون اما كما يجب ان تكون الام وامرأة
كما يجب ان تكون المرأة ، ولعل نساءنا ينظرن الى هذه الناحية
ايضاً فتتقظ فيهن روح الام فيدركن ما عليهن وما لهن ويدركن
ان الطفل عمل من اعمال الحياة يلقي به الناس ويلقي به التاريخ
ويلقي به الامة ليتقين الله في هذا العمل وليجتهدن ان يكون عملاً
صالحاً تظهر فيه آيات الخير والبر ، وآيات الاخلاق الفاضلة والخصال

الحميدة وآيات الكمال والزجولة

ثم قال بعد صمت قصير

هذا بعض محاضرتي قد اسردته عليكم مختصراً موجزاً على ان
تسمعوها ما تبقى هذا المساء فتطعمون على افكاري وآرائي فيما يتعلق
بالمرأة . وانفرط العقد ليجتمع في المساء المذكور .

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
امهاتهم احراراً

«عمر بن الخطاب»

كان يتدفق في كلامه تدفق السيل

من سلب المرأة حريتها؟.

آالدين؟...

يقول الله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ...) «الآية» .
فيثبت ان الولاية المطلقة للنساء المؤمنات كما هي للرجال
المؤمنين يدخل فيها ولاية الاخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي
ويدخل فيها ايضاً ولاية النصر الحربية والسياسية فيعطيهما حرية الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونقد من اخطأ من الحكام والخلفاء

وتقويم من اعوج منهم وحاد عن الصواب (١) ويعطيها الى هذا حرية الامانة والاجارة للحرين فتمنع الاذى عن تشاء وتجير من تشاء (٢) .

ويقول تعالى : (يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ... الى آخر الآية) فيبائع النبي النساء على ذلك ثم يبائع عليه الرجال (٣) فلا يهملهن الله كما يهمل اي سيد عبده او خادمه وانما يجعلهن في منزلة رفيعة ما عرفها من قبل ولن يعرفها من بعد .

اذن فان ديناً هذا شأنه ، وهذه او امره لا يمكن بحال من الاحوال ان يستعبد المرأة او ان يجعلها اداة في يد الرجل يتصرف بها كما يحلو له وكما يطيب .
ام النبي ؟ ...

(١) خاف امير المؤمنين عمر تعالى الناس في المهر فنهى عن ذلك واوصى ان لا يزيدوا على الاربعائة درهم فاعتضت له امرأة من قريش فقالت : اما سمعت ما انزل الله (....) وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) فقال : اللهم عفواً امرأة اصابنا واخطأ عمر . ثم اعلن رجوعه عنه .

(٢) قالت ام هانيء للنبي (ص) وهي بنت عم ابي طالب يوم فتح مكة : اني اجرت رجلين من احمائي فقال (ص) قد اجرنا من اجرت يا ام هانيء .
(٣) قد ذكر ذلك رواة الحديث ؛ ومنهم البخاري .

يقول الرسول (ص) «المرأة سيدة بيتها راعية في بيت زوجها ، وهي مسئولة عن رعيها» فينتشلها من عوديتها ويرفع من شأنها فإذا هي سيدة امرأة لا خادمة خاضعة .

ويقول الغربيون (في مجمع ماكون سنة ٥٨٦ م) ان المرأة انسان لكنها خلقت لتخدم الرجل فينقض النبي (ص) قولهم ويدحض رأيهم ويعلم للعالم ان النساء شقائق الرجل وانما المرأة سيدة بيتها ويطلق لها حريتها في زواجها . حتى انه لينصح جارية اعتقها زوجها عائشة قد هجرت زوجها بعد ما ملكت امرها فتسأله : اأمرني فيقول لا انما انا شافع . ولا يزيد فتصر هي على عنادها .

ويطلق لها حريتها في اللهو البري حتى لتأتيه امرأة فتقول له : اني نذرت ان اضرب على رأسك بالدف فيقول لها ان كنت نذرت فأوفي بنذرك . ويسمح لها ان تحضر الحفلات ، فيدعو عائشة لشهود قتيان الحبشة الذين كانوا يلعبون بحراهم بين يديه فيطأها عاتقه ويحيط وجهها بيده .

يتضح مما تقدم ان هذا النبي (ص) لا يمكن ابداً ان يكون قد استعبد المرأة او منع عنها حريتها .
فن السالب اذن ؟ الخلفاء ؟

كان أبو بكر يحب زوجته ويخافها وكانت تقسو عليه وتغاظ
له ، فيفرق منها فلا يخالفها فراها ذات مرة وقد طابت نفسها فعزم
على ان ينتهز الفرصة فيشكو لها قسوتها عليها تلين فقال يا فلانة
قد والله احرق قلبي .. ولم تدعه يتم الكلمة فحدت نظرها اليه وقطبت
وجهها فقالت ماذا احرق قلبك بخاف ابو بكر ولم يستطع ان يقول
لها سوء اخلاقك وانما قال : حب ابي بكر (١)

وكان عصر بني امية من بعده عصر اقوي فيه سلطان المرأة وذل
الرجل ، فقال بن قيس الرقيات لعائشة بنت طاححة :

عجباً لمثلك لا يكون له خرج العراق ومنبر الملك

وكانت سكيئة بنت الحسين تحت زيد بن عمر بن عثمان فخرج الى
مال له مغاضباً لها - وكان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة - فأقام
سبعة اشهر فاستعدته سكيئة على زيد وذكرت غيبته مع ولأئده
سبعة اشهر وذكرت انها شرطت عليه ان مس امرأة او حال بينها
وبين شي من ماله او منعها مخرجاً تريده فهي خلية . فبعث اليه عمر
فأحضره وامر ابن حزم ان ينظر بينهما فجاءت سكيئة . فقال ابن

(١) وكان علي بن ابي طالب يقول (لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته
من شهوة ، او ولده من رحمة .

حزماً ادخلوا سكينه وحدها فقالت : والله لا ادخل الا ومعي ولا يدي
فادخلن معها واصق زيد حتى كاد يدخل في جوفه خوفاً منها
وجرت المحاكمة ونشب نزاع بينها وبين القاضي ، ثم لما كلمها زيد
وخضع لها قالت : ما اعرفني بك يا زيد والله لا تراني ابداً اترك
تمكث مع جواريك سبعة اشهر ثم اعود اليك والله لا تراني بعد الليلة
ابداً .

ايها السادة .

لا يعقل ان ابا بكر الرجل الذي لم يستطع ان يشكو لامرأته
تسوتها ، منع عن المرأة حريتها ، ولا يعقل ان تكون المرأة - وقد
تعجب الشاعر كيف لا يأتيها خرج العراق ولا يكون لها منبر
الملك وقد خاف زيد وهو رجل ، وبين يديّ وال كعمر من شرها -
غير مالكة لحريتها ، لا تتصرف بها كيف تشاء ، وانما يعقل ان نكون
نحن الجهلة الظلمة الذين سلبوا المرأة حريتها فسلبوا أعزّ عزتها
وأمنع حقوقها .

فلنكفر عما جئني وجنا اسلافنا القريبون ولنختطّ خطّة اسلافنا
البعيدين فنعيد اليها كنزها السليب ونعطيها حقها الهضيم . فأنها
شقيقتنا وسيدة بيتنا وانها مالكة زماننا ومسيطرة على قلوبنا وافكارنا

أيها السادة ان الام التي تهز العالم يسارها (١) لا تكون عبدة ولا
خادمة ، وانما تكون حرة سيدة كما نحن احرار اسياد .

وعاد يتدفق في كلامه :

لا أريد ان اذكر ما نادى به في القرون الوسطى رجال الدين في
أوروبا كأمثال جاك دولامارك وجيرم سافورنارول في وجوب تقييد
المرأة وعدم تعليمها وتثقيفها ولا ان اذكر ما قال جان جاك روسو
في أنها خلقت لتمجب الرجل فهي متاع له ، وما كان من احتقار غوته
لها وانصرافه مع روسو عن تعليمها وتربيتها ، ولا أريد كذلك
ان اذكر ما كان من بغض نابوليون لها في القرن التاسع عشر ،
وانكار جوزيف دمستر عليها كل ابداع علمي ونفي برودون أثرها
وقدرها في الاختراع ونفي لامونية قوة التفكير عندها وبلوغ منزلة
الرجل في العقل والادراك واعتبار كوى باتن اللواتي يقبلن على
تعلم الطب مجنونات حقاً ... لا أريد ان اذكر ذلك كله لأنني أجد
في ذلك كله وصمة عار ثبتت على جبين هؤلاء فحست كل أثر من
الآثار التي أبقوها فمالوا بها تقدير الامم واعجابها.

(١) من كلام نابوليون

فما دامت المرأة انسان - وهي انسان كما أقر بذلك مجتمعهم المعقود في
ما كونه - فلها عقل كعقل الرجل . ولها تفكير كتفكيره وإدراك
كإدراكه وإذا أنكر الرجل عليها هذا فلأن أنانيته هي التي تفرض
عليه الإنكار فرضاً ولأن الأثرة تملك على مشاعره وحواسه فلا
تدعه يفكر الا في نفسه .

وهناك امر آخر فأنا لا استطيع ان انكر وانتم لا تستطيعون
ان تنكروا أنا نرى في الناس دائماً ما نقصد ان نراه فيهم كما نرى في
الاشياء دائماً ما نقصد ان نراه فيها فاذا رسمنا مربعاً في داخله مربع
صغير آخر ، ونظرنا اليه فلما ان نراه يمثل حجرة او داخل ممر ، واما
ان نراه يمثل هرماً ناقصاً فاذا قصدنا ان نرى فيه احد هذين الشكلين
رأيناه، ذلك لأنه كان في فكرنا قبل ان يكون في الورقة ، فوجدناه
كما تصورناه .

تلك حالنا مع المرأة: ننشطر الى فريقين ففريق يتخيل انها غير ذكية
او اقل ذكاءً من الرجل فيراها كما يتخيلها وفريق يناقضه فيتصورها
ذكية تماثل الرجل ، او تفضله فيراها كما تصورها. لكن الامر الذي
لا نستطيع ان ننكره ولا ان نكابر فيه هو انها انسان فهي أذن كالرجل
ذكية تستطيع ان تتقى العلم، وتستطيع ان تنبغ فيه فتبلغ أرفع قمم .

قد تختلف درجة الذكاء غير ان هذا الاختلاف لا يأتي دليلاً لنا
ضدها وحجة عليها فمن ينكر ان في الرجال بلهاً سذجاً وان فيهم مجانين
ومجاذيب تمتلي بهم الشوارع وتعج الطرق ويتبرم بهم الناس . فهل
يُمَيِّب النساء ان تكون فيهن بلهاء او حمقاء او مجنونة ، وهل يحيز
الحق والوجدان ان نتخذ من هذا حجاباً نسدله على انانيتنا واثرتنا
فنخدع الناس ؟ كلا ، بل ان الضمير ليدعونا الى الانصاف وان
الوجدان يحفزنا على احقاق الحق ..

ايها السادة

لن اطيل عليكم الكلام في بحث مفروغ منه وانما اذكركم بان الله
تعالى ارسل نبيه (ص) في الاُمَمِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى
نُورِ الْإِيمَانِ ، وبأنه تعالى قد مدح العلم في كثير من آيات قرآنه ، كما
مدحه رسوله في مواضع شتى من احاديثه . واذكركم الى هذا بان
النساء قد اشتركن مع الرجال في اقتباس العلم فكان منهن راويات
الحديث ، وكان منهن شاعرات واديبات ؛ وقاضيات ؛ وعالمات
مصنفات ؛ وبأن محمداً (ص) قد بلغت عنايته بتعليم النساء وتربيتهن أبعد
مدى فجعل فيمن يؤتيهم اجرهم مرتين «ايما رجل كانت عنده وليدة
فعلمها ، فاحسن تعليمها وأدبها فاحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها فله

اجران »

يشير هذا الحديث بوضوح الى ان المرأة يجب ان تعلم احسن
التعليم وان تؤدب احسن الأدب فلا يبقى لمستأثرين العتاة اية حجة
تؤيد دعواهم ولا يدع لهم أي برهان يثبت باطلهم فلنعمل به فترفع
الصخر ونزيل الاشواك من سبيلها فتعزى فيها قدماً ، ولنفسح عن
منهله فتشرف منه ما يروي ظمأها ولتقتبس من نوره ما يبدد ظلمة
حياتها الحالكة ، فنضمن اذن لنا حياة سعيدة راضية ، ونهي للغد
جيلاً عالمًا مدركاً يستطيع ان يأمن اليه الوطن ونستطيع ان نضجع
ضجعتنا الاخيرة مطمئنين الى مستقبل هذه الأمة ودعتها ورفاهيتها
وعلو كعبها .

الحجاب والسفور

١
اما هي فكانت لا ترى رأيه في السفوو وانما كانت تهاجمه أشد
هجوم في هذا الرأي وتنتصر اصدق انتصار للحجاب وقد عجب هو
كل العجب لهذه البادرة تبدر من زوجته وسمع منها براهينها وحججها
فما صدق أذنيه ورأى فيها حماستها في الدفاع وحماستها في الهجوم فما
صدق عينيه لكن صوتهما يدوي وحركاتها تبدو ظاهرة مؤيدة
فيتأكد من ذلك ويقنع .

قالت :

- الحجاب رمز المدنية والعقل ورمز الرزاة يحفظ المرأة من
الخروج على ما خلقت له (١) فكيف تريد ان تمحي هذا الرمز
وان تزيل هذا الحافظ الأمين ؟ فقال :

- لا أريد ان أتهمك بأنك تلقين الكلام جزافاً فاني أعتقد ان
الحرارة التي تملكك في دفاعك عن الحجاب قد استحوذت عليك
كل الاستحواذ فاندفعت لا ترين فضيلة الا وتنسينها له فقلت انه

(١) من كلام مصطفى غلاييف

رمز المدينة والعقل فلم أجد في أكثر المحتجبات أثراً من آثار هذه
 المدينة وهذا العقل ، وقلت انه رمز الرزاة فلم أظفر منه في المحتجبات
 اللواتي نراهن في الاسواق والمخازن التجارية والجنات وأما كن
 التنزه بأكثر من خفي حنين تمشي الواحدة منهن وكأنها «رأس
 مئذنة» (١) او «دمية ازياء» (٢) وتبدي ضروباً من الفنج واللال
 تسلب بها عقل العجوز الهادي الوقور قبل ان تسلب عقل الفتى
 الطائش الغرور ...
 فقاطعته :

وانما تريد ان تهمني بأني أحول بين المرأة وبين السفه
 والخلاعة، أي اني احول بينها وبين دور الرقص فلا ترتادهن ، وبينها
 وبين الشباب فلا تعرف على خلعاؤه وبينها ، وبين الخمر والميسر فلا تفقد
 عقلها ومالها .
 قال :

- ما دراك ان المتحجبة لا ترقص ولا تشمل من الخمر ولا تخسر في
 الميسر ؟ .. لقد اذكر اني زرت سيدة تبدو عليها ملامح الجلال والوقار
 جلست إلي تحدثني عن ابنتها وهي استاذة في مدرسة . فعرفت انها

(١) اشارة الى الملاة السورية القديمة (الخراطة)

(٢) اشارة الى الملاة الحديثة التي هي كل شيء الا الحجاب

انشأتها على العلم والادب فهي عالمة اديبة وانشأتها على التطريز والخياطة
فهي مطرزة مخيطة وانشأتها اخيراً على الفن فهي فنانة بارعة . ثم رأت
اتراها يتعلمن الرقص فلم تشأ ان تحرّمها منه فعامتها فاذا هي راقصة ماهرة .
واذ كر اني كنت أسير في شارع عام اذ وقفت «عجلة» هبطت منها
سيدة وسارت في انثناء وميل ، فاخذني هذا منها ، فترثت اجيل
الطرف بينها وبين العجلة فاذا برائحة تنتشر في المكان فتملؤه فشممت
الحمرة فدنوت ونظرت فاليقت سيدات متحجبات عرفت منهن
«فلاّنة» ، قد جلس بعضهن في احضان بعض واتخذن وضعية ينفر
منها المرء ويشمّر ، ثم نظرت الى السيدة التي نزلت فاذا ببرقعها قد
اطاره الهواء فمضت تجري وراءه متسكعة فلا تلحق به .

واذ كر عدا هذا اني دخلت بيتاً أمت اليه بصلة ، فرأيت الزوج
يلعب زوجته الورق وتلاعبه وما خرجت حتى قد خسرت ليرة
واحدة ... وسمعت ان اختين احدهما متزوجة تلعبان مع الزوج
وابن اخيه في كل ليلة فتخسران ويخسران مبلغاً غير قليل . وعلمت
ان اللعب اصبح «ميزة» تتلى بها اكثر المتحجبات وموضوعاً يتحدثن
فيه في ملتقياتهن وانديتهن فلا اظن بعد هذا ان الخوف على الاخلاق
قد اصبح يطلب الحجاب

وبمدفان آية الحجاب (١) لا تدل بأي تصريح او تعريض على تعليقه
بالخوف على شرف المرأة وحصانتها .

فاذا قلت ان الحجاب يمنع المرأة من السقوط يذهب قولك دليلاً
على عدم ثقتك بعفتها فيكون باطلاً غير حق ويكون اكبر
طعنة توجهيها الى نوعك ولا تدل بأي تصريح او تعريض على انها
عامة ، تشمل كل النساء فتدعو الى حجابهن وراء ستر ، واذا قلت انها
غير خاصة بنساء النبي (ص) يكون قولك محض هراء فان صراحتها
التامة ونصها الذي لا غموض فيه ولفظها الخاص كل ذلك يبرهن على
انها تخص نساء النبي (ص) فلا تجري فيها قاعدة ولا تتخذ مثلاً

وما هذا الحجاب الذي تنتصرين له ؟ أليس هو مما استحدثه الناس
في المدن مبالغين مفرطين ؟ ألا تجدن انه سد زريعة ، وليس أصلاً من
أصول الدين فالمرأة تصلي في المسجد مكشوفة الوجه واليدين فلا
يمنعها أحد ، وتحج مكشوفة الوجه واليدين فلا يمنعها كذلك أحد
وينظر خاطبها الى وجهها ويديها ويجوز له ان يرى فيها غير هذين
ايضاً فلا يستطيع ان يمنعه احد .

وقد قال النبي (ص) : (اذا خطب احدكم المرأة فندّر ان يرى منها

(١) هي الآية (٥٣) من سورة الاحزاب .

ما يدعو به الى نكاحها فليفعل) وقد جاء في رواية الراوي ان عمرأ
 خطب الى علي ابنته ام كلثوم فذكر له صغرها وبعث بها اليه ليراها
 فلما جاءته كشف عن ساقها فصاحت به لولا انك امير المؤمنين
 لصككت عينيك فماذا تستنتجين من هذا؟ الا تجددين فيه مايكم
 افواه اولئك الذين مضوا في التشديد، فحرموا السفور مطلقاً وازدادوا
 فاجبوا ستر المرأة لوجهها فاتبعوا بذلك ديناً غير دين الاسلام وشريعة
 غير شريعته (١)

قلت :

- لعلك تذكر ما روي الشيخان البخاري وسالم عن أنس انه قال:
 « لما تزوج النبي (ص) زينب بنت جحش دعا القوم فطمموا ثم جلسوا
 يتحدثون، فاخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأي ذلك منهم قام، وقام
 من القوم من قام وقعد ثلاثة . ثم انطلقوا فجئت فاخبرت النبي (ص)
 انهم انطلقوا فجاء حتى دخل البيت وذهبت أدخل فالتقي الحجاب بيني
 وبينه» فنزلت الآية (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) أفلا
 تجد فيه ما يدعو الى الحجاب .

(١) نقل مق عن المسيح فقال : قد سمعتم انه قيل للقديس لا تزني واما انا
 فأقول لكم ان كل من نظر الى المرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه .

قال :

— اذكر اني قرأت مثل هذه الحجة في كتاب (نظرات) للشيخ مصطفى الغلاييني حاول ان يستنتج منها انها دعامة للحجاب فلننظر اليها نحن بامعان (ان النبي قد تزوج حديثاً من زينب وان القوم قد اقاموا عنده للطعام فاطالوا فاثقلوا فلم يستطع ان يطلب اليهم الانتشار لان كرم خلقه وحياءه لم يسوغا له ذلك فسمكت لكن القوم ما برحوا منقلين فهض وخرج من البيت فانصرف بعضهم وبقي من بقي ثم انصرفوا الا آنس فقد أراد ان يدخل مرة أخرى فلم ير انبي بداً من ان يلقي بينهما حجاباً ، ففعل)

ففي هذا دليل على ان النبي يريد ان ينفرد الى أهله فلا يدعه القوم وفيه دليل على ان هؤلاء كانوا غلظة ثقلاء مسرفين في الغلظة ومفرطين في الثقاله ، فرمى النبي (ص) بينه وبينهم الحجاب ليفهموا ان حسبهم هذا الاسراف والافراط، وانه يجب ان يرحموه فيخففوا من وطأهم عليه وجاءت الآية تقول : (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق) فتشير الى ما ينت وتؤكداه فقالت وقد أعيتها الحجة :

— هب ان الحجاب أمر ما فرضه الدين أفليس هو عادة من

عاداتنا وتقليدنا من تقاليدنا. فلم تترك عاداتنا ولا نتمسك بتقليدنا قال:
ذلك لأن ما انتهى اليه من فساد واختلال يدعونا الى الاصلاح
والتغيير . فانبرت تقول بحماسة :

اذن فاصحوا رجالكم وعلموهم وهذبوا اخلاقهم وامنعوهم عن
ترديد الكلمات الجارحة السافلة كلما التقت بهم امرأة ومرت فتاة.
فقال :

ومن يدفعهم الى هذه الكلمات؟ أليست المتحجبة التي تبدو في
حجابها إلهة من آلهة الجمال ، او أداة من ادوات الفتنة والسحر -
كانها ما خلقت الا للفتنة والسحر - قالت :

فاصلحوا المرأة اذن الاصلاح الحق وخلوا بينها وبين التعليم
الحق والتربية الصحية ، وضيّفوا على ذلك تهذيب النش واصلح
حتى تكون الامة مهذبة راقية ثم ادعوا الى الحجاب او الى السفور
فلا يضر مع الاخلاق حجاب ولا يضر سفور .

فافهمته كما أفعمها فلم يجر جواباً ...

ثم قال بعد تفكير :

- رأيت في الامس سميراً ، ورأيت معه زوجته هيفاء فاعجبت
كل الاعجاب بظهرها . ووجدت في سفورها الهيئة التي يجب ان

تتبعها السافرة لذلك فانا سأتابع خطتها فتخرجين في الناس كما
خرجت هي . فسألته ضاحكة :

— وكيف خرجت ؟ فقال :

- لقد اسبلت على منكبها « برنسا » عقدته حول عنقها فحجبته
وهبط على جسمها حتى انتهى الى ما تحت ركبتيها ووصلت
طرفيه معرى فاخفى كل تقاطيعها وتكوينها . ثم لفت رأسها بوشاح
وحجبت شعرها فلم تظهر منه اية خصلة ومضت لا يبين منها غير وجهها
وغير يديها ... فصاحت به :

- لا لن اظهر في هذا المظهر المرعب .. فاجابها :

- نحن نحتاج كما تقولين الى تعليم الرجال والنساء والى تقويم
اخلاقهم وتهذيب نفوسهم .. ولكننا لا نريد غير هذا النوع من
السفور . فهيفاء متعامدة مثقفة لا يضرها سفورها قد سفرت على
هذا النحو ، وانت كذلك متعامدة مثقفة فيجب ان تسفري على هذا
النحو ايضا .

أخي :

تسألني رأيي في الحجاب والسفور
فأرى ان البحث في هذه المسألة - سابق لاوانه - كما يقولون وأرى
ان لا نحصر تفكيرنا في هذين الامرين من المشكلة النسوية وانما
يجب ان ندعها للزمن ، فالزمن وحده يستطيع ان يحقق احدهما ،
فاما ان يبقى الحجاب ، واما ان يحل السفور .

واعتقد ان هنالك هدفاً أسمى يجب ان نتجه اليه فليس الحجاب ،
ولا السفور كلما يهم المرأة ، او يهم الرجل ، وانما التعليم والتنقيف
والتهذيب ، فلنعلمهما ولننقفهما ولنهذبهما ، فاذا بلغنا في ذلك الشأو
الذي نريد استطاعا ان يتفقا على امرٍ وبقرا به .

ولا احسبك تنكر ان اكثر الشعب يرى في السافرة مومساً
او عاتبة فيتحدث عنها حديث أفك وبهتان ، فيكيل لها انواع الاتهم
الباطلة ؛ فاذا التقى بها نظر اليها بعين الشهوة والشوق ولم ينظر بعين
الاجلال والاحترام . فيحتقر نفسه من حيث لا يشعر ، ويمتهن
عزته من حيث لا يدرك .

ولا احسبك ايضاً تنكر ان الناس يرون في المرأة سلعة تباع
وتشري واداة لهو . فاذا سفرت ازدادوا اصراراً على رأيهم ، وازدادوا
الحاحاً فيه . والواقع ان الحجاب والسفور امران مضران ينبغي ان
تخلص من اثنيهما فنختار لانفسنا امراً وسطاً لا هو بالحجاب ولا هو
بالسفور وانما هو سبيل الى اتقاننا من هذه الفوضى واستقرارنا
على شيء .

ولقد ذكر من ذكر بعض فوائد الحجاب ، فقال انه يستدعي
زيادة عزة المرأة ، وزيادة ميل الرجل اليها ، ويضعف الرغبة فيها ؛
ويحول دون تنازع الرجال ببعض النساء ؛ ويمنع كثرة الزنا ويحفظ
المحطنة ؛ ويضمن سعادتها وهناءها (١) فهو اذن يراها سلعة لا اكثر
ولا اقل فيحكم بحجابها ليزداد الرجل ميلاً اليها ويتبع السنة القائلة
ان كل ممنوع مطلوب ، وكل مبتذل منبذ ؛ وهو يرى ان تكون
اداة رغبة اي شهوة فسيء اليها من حيث يريد الاحسان ، ويعتقد
ان الحجاب يمنع الزنا ويحفظ المحطنة ، لكن الايام الحاضرة تثبت في
كثير من البيان ان الزنا قد تفشى تفشياً مريعاً لم يحل دونه حجاب .
يخشى منه في المستقبل على البقية الباقية من الاخلاق ويخشى منه على

(١) من آراء الاستاذ الشيخ عبد الحميد الجابري

عدد المواليد أما المحصنة فإذا كانت قد نشأت في بيت يقدس الطهر
والهفاف فتربت تربية لا غبار عليها ولا اشتباه فيها ، فلا تخاف ان
ينالها احد بسوء او يمسه بمكروه في سفورهما

وذكر مضرات السفور فقال انه اختلاط جنسين ينهي الى الرقص
وشرب الخمر وينتهي الى رفع التكليف فيدخل الغريب والقريب
البيت ولا يحتاج الى وجود ربه ؛ فيختلي بالزوج او بالاخت فتميل
الطبيعة عملها فتكون المرأة امرأة والرجل رجلا فتؤول الحال الى
« قصة حب » وكثيراً ما تنتهي بفاجعة . وتطلق الحرية فتطلق معها
التقاليد وتحرر معها العقول وتتغير معها العادات ، فتهدون الاخلاق
فتنتشر الفوضى ويم الفساد والفسق والفجور .

والحقيقة هذه هي عاقبة . اذا لم تكن هنالك تربية صحيحة وثقيف
صحيح وخلة قويم .

قصارى القول إذن :

ان علينا ان ندع البحث في هذه المشكلة الى حين ، وان نأخذ
بتعليم الشعب ؛ وان ننشئ الجيل القادم على أحسن ما نتوخي من
علو في النفس ونبل في الخصال وكرم في الطباع ، وان نفهم الجميع
انهم ما خلقوا للجماع ، يقضي الرجل من المرأة وطره وتقضي المرأة

منه وطرها . وانما خلقوا لخدمة المجتمع ورفع مستوى الامة وشأن
الوطن ونفهم الرجل بنوع خاص ان المرأة ليست اداة ، تهى له
اسباب لذته وشهوته ، بل هي ربة منزل ترعاه وأم اطفال يكونون
في المستقبل عماد القومية العربية واركانها الراسخة .

واذا كان هنالك من يريد السفر قبل ان تبلغ هذه الغاية فليتبع
الطريقة التي سلكتها زوجي فان هذا خير سفور كما هو خير
حجاب .

في خضم الحياة

كنت الى امدٍ قريب لا أريد للمرأة ان تدخل في ميدان
العمل ، تشهد على ذلك المناقشة التي جرت بيني وبين آنسة استاذة
- من دمشق - في هذا الموضوع اما الآن ، بعد ما رأيت من الرجل
شكواه الدائمة من مصاريف المرأة وتكاليفها ، وبعد ما رأيت
دعوته الى العدول عن الزواج تخلصاً من هذه المصاريف
والتكاليف ، فقد اصبحت أرى لزماً علي ان افسح لها في مجال
الاعمال لتكسب قوتها بنفسها فتخلص به من الرجل ومن منه
وشكواه .

المؤلف

وتسألني رأي في عمل المرأة (١) :

هذا الوطن الذي نشكو تقهقره ونشكو خموده تنقصه المرأة الراقية التي تعادل الرجل في العلم والثقافة ، وتعادله في ممارسة حرفه ومهنته ، وفي القيام بكل وظائفه وأعماله . فلنفسح لها في المجال ولنندعها تشترك معنا في العمل فان لها حقوقاً كما ان لنا حقوقاً وان هذه الحقوق تحتم عليها ان تعمل لتحيا حياة تضمن لها السعادة والتقدير ، وتزيل عنها من الرجل وشكواه .

فنحن اذن نريد ان نخرجها من دائرة المنزل الهادي الهاني لنزج بها في ميدان العمل الشاق فليكن ، ولكن غيرنا على ما نظن لا يرى هذا الرأي ولا يقبل به ، وقد يسأل : اذا وظفت المرأة أو امتهنت أي مهنة : فكانت مثلاً كاتبة في ديوان ، او كانت تاجرة في

(١) جرت مناقشة في هذا البحث بين وبين آنسة استاذة من دمشق على صفحات «الانشاء» وتداخلت فيها آنسة اخرى من جمعية «يقظة المرأة الشامية» فاستخلصت اكثر الآراء التي عرضتها واثبتتها هنا دليلاً على اني جاريها في هذه الآراء .

سوق او نجارة او بناء فجاءها الفظ الغليظ فاثقل عليها في مراجعته
وجاءها الشاي فناقشها في الغلاء الفاخش وحاسبها على الدرهم فاخذت
معه في جدال قد ينتهي الى شراء وقد لا ينتهي ، او طلب اليها ان
تحت الاجار ، وتلوث يديها بمزيج الكس والطين ، هل كان ذلك
في صالحها ام هل تحسبون ان المناقشة مع المراجعين تشبه مسامرة
الاحبة ، وان حمل الاجار يشبه حمل حقائب اليد وان مزيج الكس
يشبه مزيج (البودرة) و (الكريم) . واذا سلمنا جدلا ان المرأة لا تهتم
لذلك كله ، ولا تأبه له فماذا يكون حال المجتمع وقد انصرفت المرأة
عن تدبير شئون منزلها وتربية اطفالها الى الكفاح في ميدان
الحياة ؟ أليس دماراً محققاً وخراباً مؤكداً .

فيكون هذا سؤالاً لا تستند محتوياته الى حقيقة راعنة فقد تعب في
سردها ما اثمر تعبها وقد فاته ان الفتيات في مصر -- ومصر كما تعلم ويعلم
هو قطر عربي اسلامي - تضيق بهن مصالح الحكومة على كثرتها
وتكثف بهن المعامل والمصانع على اختلافها فلم ذلك أليس لأن
الرجال قد فسحوا للمرأة في المجال ولم يقفوا - كما يريدون ان يقفوا -
صخرة عثرة في سبيلها وقد ساهموا في تقدمها وحضارتها ولم يجدوا
فيها - كما وجد هو - سلعة تباع وتشترى واداة يلهم بها .

يقول ان المرأة قد تصادف الفظ الغليظ في ميادين العمل ، فهل
كان الرجال - وحدهم - افضاذاً غاظاة ، وهل قدر علينا ان نلتقي بهم
فنشقى دون ان يكون للمرأة نصيبها مع ان دمها دمنا ولحمها لحمنا ؟
ويقول ان المرأة اذا اشتغلت جر ذلك الى دمارٍ وفناء . فها هي
اوروبة ، قد شاركت نساؤها رجالها في العمل ، فهل انتهت حالها
الى خرابٍ ودمار ، ام انتهت الى تقدمٍ ورفق ؟

انه انما يريد ان يقول ان الفظ الغليظ لا يوجد الا في سورية ،
وانه انما يريد ان يقول ان المرأة في هذه البلاد غيرها في تلك ، فلا لوم
عليه ، ولا تثريب .

ثم ان المرأة - الى هذا كله - لم تلدها امها لتقبع في بيتها فتهتم
بتنظيفه ، وان عملها ما حصر في اعداد الطعام ، وراء القدر وبين
الاواني ، لا انها لم تخلق لهذا ولا ليقول لها الرجل : انا اتعب
لتستروحي ؛ واشقى لتنعمي ، ثم يخرج من البيت فيضج امام اخوانه
منها ومن مصروفها ويشكوها ، متبرماً ماناً ، وانما خلقت لتعمل
فتمكسب قوتها يمينها . فليس اشرف عندها من ان تؤمن بنفسها
بقائها .

لقد كرهت المرأة هذه الحياة ، وهذه الكلمات ، وهذه الشكوى

وهذا المنّ ، فهي تطلب عملاً شريفاً كعمل الرجل لتسعد بالحرية
فتشعر بلذتها كما سعهو ، وشعر بها .

أيها الرجل انك ترحمها كما ترحم ولا تريد ان تمتهن مهنتك لان
الطبيعة خصتها بالانوثة والنعومة ، وخصتك بالخشونة بالعمل الشاق المضني
فلم لا تفهم من العمل الا البناء والحدادة والنجارة فتخاف عليها منها
هل كان الرجال كلهم بنائين ؟ وهل كانوا كلهم حدادين ، وكلهم
نجارين ؟ أليس فيهم من يقوم بأعمال اخف وطأة منها ، وليس فيهم
ايضاً من بنيتهم اضعف من بنية المرأة ، وقوته اقل من قوتها ثم ما هذه
القروية التي تجدها في سراحك ورواحك تعمل في الشارع فتبني الابنية
وتعبد الطرق وتحمل في الاثنين اجاراً تمجز انت عن حملها وما لها
تحرث في الحقل ، وترعى الماشية - الامر الذي لا تستطيعه انت -
اتكون من طينة غير طينة المدنيات ، ام تكون من صنع إله غير
الههن ؟ افلا ترى انك مستأثر جداً واناني جداً؟ اذن فاقطع عن اثرتك
وانانيتك ، ودعها امام هذه الحرف وغيرها تختار لنفسها ما يوافقها
ويوافق جسمها وصحتها ، وما تميل إليه ويتقبله ذوقها .

أيها السيد الرجل قد تحسب ان المرأة تبلغ اوج السعادة اذا
جلست في بيتها آمنة مطمئنة بعيدة عن العمل وصعوبته ، متعرضة

لتبرم الرجل ومنه لكن السعادة الحققة، ما كانت يوماً من الأيام في السجن، ولا في حياة قريبة من العبودية وإنما كانت في الحياة الحرة والعمل الحر .

ولكننا - مع هذا - نريد من المرأة ان تنظر متجردة عن كونها امرأة تريد ان تنال حقاً هضياً ، ومتصفة بصفة امرأة تريد ان ترى الحق والباطل ، لتختار أفضلهما - الى حال اقرب العاملات اليها هل تجد خمس وسبعين في المئة منهن من تستطيع ان تقول ان احداً لم يمسه بسوء؟ وان تنظر اليهن في المعمل فتري هل يقتنع وجدانها انهن يعشن عيشة هائلة راضية ويحيين حياة شريفة خالية من الشبه . لا نخال ذلك ؟ ولكننا لا نجيب عن هذا السؤال وإنما ندعه للكاتب الانكليزية مس انورد (١) تقول « اذا اشتغلت قياتنا في البيوت خادمت طاهيات ، خير وأخف بلاءً من ان يشتغلن في معامل تصبح فيها البنت الطاهرة ملوثة بادران تذهب برونق حياتها الى الابد . »
« المرأة تعتقد ان الاختلاط شيء يألفه الرجل فتقطع به »

كما تدعه للادي كوك (٢) تقول :

(١) مس انورد في مقال نشرته «الاستون ميل» عام ١٩٠١
(٢) الادي كوك في مقال نشرته الايكو وقد عرب هذين الما لين السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة «المنار المصرية» ، فنقلت تعريتها بتصريف .

«يكثر اولاد الزنا بكثرة الاختلاط، وهذا هو البلاء العظيم على المرأة. فان الرجل الذي علقت منه هجرها، فتقلب على مضجع الفاقة والعناء فتذوق مرارة الذل والمهانة اما الفاقة فلا ن الحمل وثقله والوحم ودواره يمنعان الكسب الذي تحصل به قوتها، واما العناء فلاها تصبح شريذة حائرة، واما الذل والمهانة، فاي عار بعد هذا العار .
«يا ايها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بنتكما باشتغالها في العمل، فتصير الى ما ذكرت، علموها الابتعاد عن الرجل وانبثوها بالعاقبة الكامنة لها بالمرصاد .»

هذا قول كاتبتين غريبتين قد اشترك بنات جنسهما في العمل يدين للمرأة ولنا عن العاقبة السيئة التي ستقاد اليها ويدين كذلك عن النهاية المفجعة للاخلاق العربية الشرقية التي تهيا لها ، ولا نحسب ان شيئاً يستطيع ان يقنعها اقناع حجج وبراهين تأتي بها امرأة من النساء .
على انا نستطيع ان نبعد عن هذا الشر اذا علمنا الجنسيتين ، وثقفناهما وانشأناهما على اخلاق القويمة ففهما معنى الحياة وادركا ان وجودهما ليس في الاغلب للجماع وانما لتكوين أمة عالية راقية وانشاء دولة قوية عظمى فاذا فعلنا ذلك فقد خلقنا في نفسيهما رادعاً يردعهما عن الفساد والفجور فلا نخشى بعدئذ من وجودهما معاً في معمل واحد جنباً الى جنب .
«سمير»

مجلد دوم از مجموعه آثار و تصانیف

ردیف	عنوان	تألیف	تصحیح	ملاحظات
۱	تفسیر قرآن مجید	مفسرین کبار	محقق	
۲	تاریخ اسلام	مؤرخان مشهور	محقق	
۳	فقه اسلامی	فقیهان بزرگوار	محقق	
۴	اصول فقه	فقیهان بزرگوار	محقق	
۵	تاریخ ادبیات	ادیبان و محققان	محقق	
۶	تاریخ علم	محققان و دانشمندان	محقق	
۷	تاریخ فلسفه	فلسوفان و محققان	محقق	
۸	تاریخ هنر	هنرمندان و محققان	محقق	
۹	تاریخ جغرافیه	جغرافیدانان و محققان	محقق	
۱۰	تاریخ اقتصاد	اقتصاددانان و محققان	محقق	

و بعد

۱۳۵۶ قمری / ۱۳۵۶ شمسی

۱۳۵۶ قمری / ۱۳۵۶ شمسی

المراجع

در این کتاب از منابع معتبر و کتب معتبره استفاده شده است و در صورت لزوم به منابع دیگر ارجاع داده شده است.

تألیف و تصحیف : دکتر محمد علی باقری

فما هذه قصة محكمة الفقرات متماسكة
الحلقات، وإنما حديث جري جرى القصة
في البحث والتحليل .

خالد عمرى

١٣ جمادى الثانية ١٣٥٨

٣٠ تموز ١٩٣٩

حلب : شارع البندرة

عنوان المراسلات :

- جدول الخطأ والصواب -

صفحة سطر الخطأ الصواب	صفحة سطر الخطأ الصواب
١٢ ٥٠ او اسدلت واسدلت	١٠ ١٣ تلتمس تلتسمي
٧ ٥٥ كل منهم كل منهم	١ ١٦ عانته عانته
١٦ ٥٧ ليتقين فليتقين	٧ ١٦ فجد فجد
٢ ٦٠ للحريين للحريين	٧ ١٧ توضع توضع
١٥ ٦١ جنينا جنينا	٩ ١٧ رضاه رضاه
١٢ ٦٤ قدرها قدرها	١ ١٩ مالم يتسن مالم يتسن
١١ ٦٦ العالم العالم	١١ ٢٩ يمتنع حبيبها ان يمتنع حبيبها عن ان
٣ ٦٧ المستأثرين للمستأثرين	٣ ٣٣ اثنتيكما اثنتيكما
٧ ٧٣ فاليفت فاليفت	٥ ٣٥ دانيا على دانيا من
٥ ٧٤ تعويض تعويض	٨ ٣٧ يحجبها يحجبها
٩ ٧٥ وسالم وسالم	١٣ ٤٣ لشيئا شيئا
١١ ٧٧ الصحبة الصحبة	٩ ٤٥ آرائها آرائها
٦ ٧٨ معرى معرى	١١ ٤٩ لا تكلف لا تكلف
٨ ٨٩ وجدانها وجدانها	

المراجع

قد رجعت في هذا البحث الى القرآن الكريم ، وبعض كتب مختلفة في الحديث النبوي ، والاغاني وشاعرات العرب ، وحب ابن ابي ربيعة ، والى مراجع اخرى ذكرتها على الهامش في حينها فلا أرى داعيا يدعوني الى ذكرها مرة اخرى



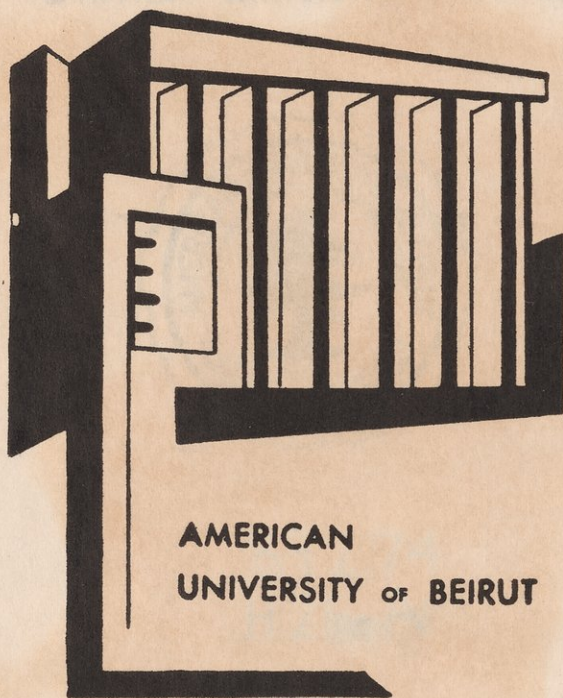
سجل بيانات وفيات

الاسم	الجنس	العمر	تاريخ الوفاة	سبب الوفاة
أحمد محمد	ذكر	٢٥	١٩١١/١٠/١٥	حمى
فاطمة علي	أنثى	١٥	١٩١١/١١/٠٥	جذام
عبد الله حسن	ذكر	٤٠	١٩١١/١٢/٢٠	سل
سليمان أحمد	ذكر	٣٠	١٩١٢/٠١/١٠	جذام
مريم علي	أنثى	٢٠	١٩١٢/٠٢/٠٥	حمى
عبد الرحمن محمد	ذكر	١٠	١٩١٢/٠٣/١٥	جذام
فاطمة حسن	أنثى	١٥	١٩١٢/٠٤/٠١	حمى
عبد الله علي	ذكر	٢٥	١٩١٢/٠٥/١٠	جذام
سليمان أحمد	ذكر	٣٠	١٩١٢/٠٦/٠٥	حمى
مريم علي	أنثى	٢٠	١٩١٢/٠٧/١٥	جذام
عبد الرحمن محمد	ذكر	١٠	١٩١٢/٠٨/٠١	حمى
فاطمة حسن	أنثى	١٥	١٩١٢/٠٩/١٠	جذام
عبد الله علي	ذكر	٢٥	١٩١٢/١٠/٠٥	حمى
سليمان أحمد	ذكر	٣٠	١٩١٢/١١/١٥	جذام
مريم علي	أنثى	٢٠	١٩١٢/١٢/٠١	حمى
عبد الرحمن محمد	ذكر	١٠	١٩١٣/٠١/١٥	جذام
فاطمة حسن	أنثى	١٥	١٩١٣/٠٢/٠٥	حمى
عبد الله علي	ذكر	٢٥	١٩١٣/٠٣/١٥	جذام
سليمان أحمد	ذكر	٣٠	١٩١٣/٠٤/٠١	حمى
مريم علي	أنثى	٢٠	١٩١٣/٠٥/١٥	جذام
عبد الرحمن محمد	ذكر	١٠	١٩١٣/٠٦/٠٥	حمى
فاطمة حسن	أنثى	١٥	١٩١٣/٠٧/١٥	جذام
عبد الله علي	ذكر	٢٥	١٩١٣/٠٨/٠١	حمى
سليمان أحمد	ذكر	٣٠	١٩١٣/٠٩/١٠	جذام
مريم علي	أنثى	٢٠	١٩١٣/١٠/٠٥	حمى
عبد الرحمن محمد	ذكر	١٠	١٩١٣/١١/١٥	جذام
فاطمة حسن	أنثى	١٥	١٩١٣/١٢/٠١	حمى

ملاحظات

في هذا السجل تم تسجيل حالات الوفاة التي حدثت في مستشفى الخديوي في القاهرة خلال الفترة من ١٩١١ إلى ١٩١٣. تم تصنيف الحالات حسب الجنس والعمر والسبب الرئيسي للوفاة. تم إجراء جميع الفحوصات الطبية اللازمة لتحديد أسباب الوفاة.

حمدى، خالد
مع حواء
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038310



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

892.78
Ha527mA